الأهرام

المصدر: اكتوبر

التاريخ : ٢١ ابريل ٢٠٠٢

إطـــلاق النـــار على كنيســـة المهد

المصفحات الإســـرائيلية تحتـل مدينـــة المسـيح

تقرير

بعد أن اقتحمت قـــوات الجيش الإسرائيلى المـــدن الفلســـطينية بشراســـة، قامت بمحاصرة كنيســـة «المهد».. فـــى مدينـــة «بيت لحم » حيث هـــرب الفلســـطينيون أمـــام المصفحـــات الإســـرائيلية وتحت حمايـــة الرهبـــان الفرنسيســـكان لـــم تعـــد القضية الفلسطينية تخص المســـلمين فقـــط ولكـــن المسيحيين أيضـــا الذيـــن استبسلوا فى الدفاع عـــن الأرض المقدسة.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

د. زهيرة البيلى

وفى مدينة « بيت لحم » يعيش ٢٪ من المسيحيين و٣٥٪ من المسلمين، لكن على الرغم من أنهم أقلية فإن الأحداث الدامية أثبتت أنهم يمثلون قوة لا تمكن الاستهانة بها . وعلى الرغم من المجهودات المبذولة وصرخات الإدانة التى انطلقت عبر العالم بدءا من الفاتيكان والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والرئيس الأمريكى « جورج بوش » ، فإن رئيس الوزراء الإسرائيلى «آرييل شارون » بعد أن وافق على الانسحاب الجزئى من المدن الفلسطينية، عاد ليحتل مدينة «طولكرم» و قلقيلية» يبدأ الحى القديم عند كنيسة العائلة المقدسة التى أصبحت محدودة المساحة بعد الاحتلال الإسرائيلى، هذا الطريق يوصل أيضا إلى كنيسة المهد حيث لجأ حوالى ٢٤٠ فلسطينيا ما بين مدنيين ومسلحين. بدت مدينة « بيت لحم » خالية من الحياة، حيث أغلقت نوافذ وأبواب المبانى، إذ لم يعد أحد يجرؤ على الوقوف لمشاهدة ما يحدث، وإلا تعرض للقتل على الفور من قبل الجنود الإسرائيليين. وتقول مجلة «بارى ماتش» الفرنسية «إن هذا الصمت الذى يخيم على المدينة بدا ثقيلا على النفس، حيث لم يعد يسمع إلا صوت المجنزرات الإسرائيلية التى تعلن عن قدومها من بعيد . ولم يعد بوسع المارة سوى الهروب والاختباء أمام الجنود الإسرائيليين الذين باتوا يعانون من الفزع والخوف والقلق والعصبية الشديدة، خاصة بعد أحداث «بيروت» حيث تمكن الفدائيون الفلسطينيون من إصابة عدة مصفحات إسرائيلية قذفا بالصواريخ الموجهة. كما لم تعد المدافع الإسرائيلية الـ « أر . بى . جى » تصلح داخل مدينة «بيت لحم» بأزقتها المحدودة الضيقة والتى يقيم فيها حوالى ٣٥ ألف نسمة

فى المنطقة الواقعة اسفل المدينة وعند تقاطع الطريق الذى يؤدى إلى مدينة «الخليل» ، وقفت مصفحة إسرائيلية من طراز « مر كافا » تسد الطريق من بعيد وعندما لمحت القوات الإسرائيلية المراسلون الأجانب توجهت إليهم بمدافعها لمدة ٣٠ ثانية مرت كأنها دهر من الزمان، فلا أحد يمكن أن يتصور ما سوف يحدث. كما انتشرت حاملات الجنود من طراز « أم ١١٣ » فى أنحاء المدينة التاريخية العريقة وتوضح المجلة الفرنسية أنه من الغريب أن هؤلاء الجنود الإسرائيليين لم تطأ أقدامهم مدينة « بيت لحم » من قبل، وحدودهم كانت تتوقف عند مقبرة «راشيل» فى مدخل المدينة حيث تبدأ المدينة العربية .

وبعد فرض حظر التجول وبعد أربعة أيام سمح للسكان بالخروج المحدود للتزود سريعا بالطعام . فمنذ عام ١٩٤٨ وخاصة فى عام ١٩٦٧ نزح الفلسطينيون بعد أن طردتهم القوات الإسرائيلية ليقيموا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بجانب إخوانهم المسيحيين فى مدينة «بيت لحم » ، بينما فضل الكثير من المسيحيين الهجرة إلى أمريكا. أما اليوم فإن شباب المدينة يطالبون بالثأر لإخوانهم الذين اضطروا إلى مغادرة البلاد أو الذين سقطوا ضحايا أمام نيران الطائرات المروحية الإسرائيلية فى مدينة « نابلس » و «جنين » .. ويقول « كريم » أحد المسيحيين المقيمين بالمدينة، والذى تمكن خلسة من استقبال المراسلين الأجانب : «أثناء حرب الأيام الستة نزح الفلسطينيون إلى مدينة بيت لحم » سيرا على الأقدام عبر حقول الزيتون. فلم يحدث أبدا أن احتلت الصفحات الإسرائيلية مدينة المسيح عليه السلام.. وعلى العالم أن يعرف أننا لسنا بإرهابيين » ثم أوضح أن

القوات الإسرائيلية قامت بإطلاق النيران على باب إحدى الشقق بالدور العلوى على الرغم من تأكدهم من عدم وجود مسلحين فلسطينيين. ومن شدة الخوف بقيت الزوجة لمدة ٤٨ ساعة بجانب جثة زوجها الذى قتل إثر هذه المعركة إلى أن سمح لسيارة إسعاف بنقله إلى المشرحة . ثم شرح « كريم » أنه يملك متجرا لبيع الهدايا التذكارية، قامت القوات الإسرائيلية باقتحامه وسرقته. ويضيف قائلا : « لم يكن الإسرائيليون من قبل بهذا القدر من الشراسة .. كما أننى لست مندهشا من لجؤ المسلمين الفلسطينيين إلى كنيسة المهد.. فأين يذهبون إذن ؟! فى المواجهة وعلى الجانب الآخر يوجد مسجد «عمر»، ولكن الإسرائيليين لا يحترمون المساجد والدليل على ذلك أنه قد تم حرق نصف المسجد على الأقل » .

وهربا من أهوال المصفحات الإسرائيلية والطائرات المروحية لم يجد الفلسطينيون مفرا سوى الدخول من باب كنيسة المهد الذى يبلغ طوله ١,٢٥ متر والذى يؤدى إلى الكهف الذى ولد فيه المسيح عليه السلام . وتقول إسرائيل إن هناك ما لا يقل عن ألفى مقاتل فلسطينى بمدينة وبيت لحم، معظمهم ينتمون إلى البدو الذين جاءوا ليعيشوا بالمدينة، أما الباقى فقد جاءوا من معسكرات اللاجئين، وتوضح المجلة الفرنسية أنه بعد الحجارة تسلح الفلسطينيون بالرشاشات من طراز « أم ١٦ » فأصبحوا مثل شخصية « رامبو » الأمريكية، يرتدون الـ « تى- شيرت » الذى يمثل صورة « جى- جيفارا » أو المسجد الأقصى أو صور زملائهم من الشهداء الذين سقطوا فى المعارك .

أمام البنطلونات الجينز والأحذية الرياضية التى يرتدونها باتت المسألة وكأنها أحد المسلسلات التليفزيونية الأمريكية. إنه جيل جديد من المحاربين يختلف تماما عن هؤلاء الذين سبق ان قاتلوا فى « بيروت » منذ عشرين عاما. وتؤكد المجلة الفرنسية أن المسالة لم تعد سياسة فقط ، لكنها اجتماعية أيضا إذ بات الصراع بين غنى وفقير .

وقد صرح « تونى كابيوزو » أحد المراسلين الإيطاليين الذين لجأوا إلى كنيسة المهد والبالغ عددهم حوالى أربعة على الأقل : « داخل الكنيسة مسلمون فلسطينيون ينتمون إلى مختلف المنظمات مثل الجهاد الإسلامى وحماس وشهداء الأقصى. وتقوم الراهبات بالطهى وإعداد الطعام للجميع .. ينام الجميع فى أروقة الكنيسة مع التناوب على حراسة الأبواب » ويقول «فردناندو بلجرينى » من إذاعة « راى » الإيطالية : « لم يحدث لنا أبدا مثل هذا الحصار، حتى جاءت سيارات القنصلية الإيطالية لتخرجنا من الكنيسة » ليبقى داخل كنيسة المهد ٣٥ راهبا وخمس راهبات اختاروا البقاء إلى جانب زملائهم من الفلسطينيين المحاصرين. وتوضح المجلة الفرنسية أن هذا الموقف الشجاع يبعث على الدهشة. إن هؤلاء الرهبان الفرنسيسكان لم ينسوا أنه قد تم تعيينهم حماة لكنيسة المهد بموجب فرمان رسمى من قبل السلطان التركى فى القرن التاسع عشر. وتبلغ مساحة كنيسة المهد حوالى ١٢ ألف متر مربع، يوجد بالقرب منها كنائس الرهبان اليونانيين والأرثوذكس والأرمن فمنذ

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

٧٠٠ عام وهم فى هذا المكان، لذلك فإنهم على قناعة تامة بأن ما يحدث من عنف من قبل القوات إسرائيلية لن يجبرهم على الرحيل بل على العكس فإنهم يزدادون إصرارا على البقاء.

وفى لقاء مع الراهب « جيوفانى باتستيلى » (٧٠ عاما) والذى يقيم فى مدينة القدس ويجوب الأرض المقدسة منذ عام ١٩٥٩ قال : « لقد احتفظت الكنيسة دائما بأبوابها مفتوحة على مصراعيها، وهى ملزمة بحماية كل من يلجأ إليها .. والتاريخ العريق يشهد على ذلك ، فأثناء الحرب الأخيرة كانت ملاذا للهاربين من البطش الإسرائيلى. كما أبدى الراهب الفرنسيسكانى استعداده للتوجه إلى كنيسة المهد لولا أن القوات الإسرائيلية لم تسمح له بذلك . أما الراهب « سمير سليمان » الذى قتله الإسرائيليون، فقد كان يعمل بكنيسة المهد منذ ٢٧ عاما ، وطبقا للرواية الإسرائيلية الرسمية، أنهم طلبوا منه الوقوف مكانة إلا أنه رفض. أما الراهب «فلتس » المصرى فيؤكد أن القوات الإسرائيلية أطلقت عليه النيران فى غرفته بينما كان بالقرب من النافذة. وأمام هذه الوقائع والشهادات تصر وتنفى إسرائيل أنها تطلق النيران على كنيسة المهد .

أما فى « بيت جالا » التى تعتبر امتدادا لـ « بيت لحم » والتى يقيم بها ٨٥٪ من السكان المسيحيين . فالكنائس مكتظة بالمصلين حيث يخطب الراهب « قادر » قائلا :

«من حقنا إقامة الصلاة ولن يمنعنا الجيش الإسرائيلى من ذلك »

وسط طلقات النيران الإسرائيلية، و زيادة الصراخ والعويل وأثناء الصلاة وأمام الجموع أخذ أحد القساوسة يقول : « لقد أعلن شارون الحرب على العالم .. لقد لجأ المسلمون الفلسطينيون إلى كنيسة المهد .. ومن الطبيعى أن تحمى الكنيسة رعاياها وهم ليسوا فقط من المسيحيين .. ألا يقول المسلمون للقساوسة « أبونا » .. إنهم ورقة رابحة ومكسب لكنيسة المهد . بعد هذه المواقف كلها أصبح المسيحيون شركاء فى المشكلة الفلسطينية. وتؤكد المجلة الفرنسية : « إن المسيحيين فى الأراضى المقدسة لهم قلب عربى واحد»

وكانت القوات الإسرائيلية قد قامت صباح الأربعاء الماضى بإطلاق النيران على كنيسة المهد الأمر الذى تسبب فى حدوث حريق فى غرفتين داخلها تمهيداً لاقتحامها وكان ذلك هو الفصل الأخير من المسرحية العبثية التى قام «شارون» بإخراجها لكى يثبت للعالم أن إسرائيل تستهين بالمقدسات الدينية الإسلامية والمسيحية، ولا تلقى بالا لاستنكار البابا «يوحنا بولس الثالث» وصلواته لإنقاذ الكنيسة ومن فيها تلك الكنيسة التى تحتل مكانة خاصة بالنسبة للمسيحيين لأن السيد المسيح عليه السلام قد ولد فيها وفى هذا الموقع بالذات، كما أن لكنيسة المهد مكانة خاصة بالنسبة للرئيس «ياسر عرفات» إذا كان يحرص على حضور القداس وخاصة فى ليلة الاحتفال بميلاد السيد المسيح وفى العام الماضى منعته إسرائيل من الحضور، ووضعوا عليه الكونية الفلسطينية، وقد شاهد العالم أجمع على شاشات التليفزيون هذه الوقائع الصارخة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية